

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً ، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم ، فقال : « يا أبا جهل بن هشام ! يا أمية بن خلف ! يا عتبة بن ربيعة ! يا شيبه بن ربيعة ! أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ، فسمع عمر قول النبي ﷺ . فقال : يا رسول الله ! كيف يسمعون ؟ وأنى يجيبوا وقد جيفوا ؟<sup>(١)</sup> قال : « والذي نفسي بيده ! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ،<sup>(٢)</sup> ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا<sup>(٣)</sup> » .

وهذا يدلنا على أن ادعاء تحضير أرواح الموتى ، وأنها تخاطب وتجيب - ادعاء غير صحيح . فإنهم إذا لم يقدر أن يجيبوا رسول الله ﷺ ، فهم أعجز من أن يجيبوا غيره بيقين<sup>(٤)</sup> .

هذه الأحاديث الصحيحة في سؤال القبر ونعيمه وعذابه مما يتعلق بالحياة البرزخية ، تغص بها حلوق الماديين الذين يجحدون أن يكون للإنسان روح أو للكون إله ، ويستبعدون أن يكون للإنسان أي نوع من الحياة بعد الموت ، جاهلين أن قدرة الله لا يعجزها شيء ، وأن مشيئته لا يقيدها شيء . وقد قال تعالى يخاطب هؤلاء : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة : ٢٨) . والحياة في القبر من الغيب الذي نؤمن به ، ولا نبحث عن كنهه ، فإن أدوات الإدراك عندنا لم تهباً للإحاطة بسرّه . ولا يزال الإنسان - رغم تقدمه في العلم - يجهل كثيراً من أسرار الكون المادى الذي يعيش فيه ، وكلما اتسع أفق معرفته ، تبين له أن ما يجهله أكثر وأكثر ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة الإسراء : ٨٥) .

(١) (كيف يسمعون وأنى يجيبوا وقد جيفوا) هكذا هو في عامة النسخ المعتمدة : كيف يسمعون وأنى يجيبوا ، من غير نون . وهي لغة صحيحة ، وإن كانت قليلة الاستعمال . وقوله : جيفوا ، أى أنتوا وصاروا جيفاً . يقال : جيف الميت وجاف وأجاف وأروح وأتن ، بمعنى ) .  
(٢) ( ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ) قال المازري : قال بعض الناس : الميت يسمع عملاً بظاهر هذا الحديث ثم أنكره المازري وادعى أن هذا خاص في هؤلاء . ورد عليه القاضى عياض وقال : يحتمل سماعهم ، على ما يحتمل عليه سماع الموتى في أحاديث عذاب القبر وفتنته التي لا مدفع لها . وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون في الوقت الذي يريد الله تعالى . هذا كلام القاضى ، وهو الظاهر المختار الذي تقتضيه أحاديث السلام على القبور .  
(٣) متفق عليه : اللؤلؤ والمرجان (١٨٢٦) .  
(٤) انظر : فتوانا : (حول تحضير الأرواح) في الجزء الأول من كتابنا (فتاوى معاصرة) .